

اللغة العربية ومجتمع المعرفة

محاضرة أ.د/ محمد الحناش

خبير الهندسة اللسانية العربية

جمعية النبراس للثقافة والتنمية - وجدة

بتاريخ 29 / 12 / 2013

ملخص المحاضرة:

في البداية تم التعريف بمصطلح المعرفة **knowledge** الذي أصبح مفهومه أكثر دقة مع الثورة الحاسوبية التي يعرفها عالمنا المعاصر، ثم انتقل المحاضر إلى تعريفه من خلال مختلف التخصصات التي تستخدمه، في الاقتصاد والبحث العلمي واللغة والمعلومات، إلخ، حيث تبين أن كل مجال يعرفه من خلال احتياجه إليه، على الرغم من التقاء هذه التعريفات جميعها في أمرين اثنين، وهما:

1. الابتكار في المجال الذي توظف فيه

2. خدمة الإنسان وتحسين حياته

ثم تطرقت المحاضرة إلى التفريق بين عدد من المصطلحات التي تتداخل مع مفهوم المعرفة، مركزة بشكل خاص على مصطلحي المعلومات **information** والعولمة **Globalization**، فشرح المحاضر أوجه الاختلاف والتكامل فيما بينها، مما زاد مفهوم المعرفة وضوحاً لدى الحضور الكبير الذي غصت به قاعة المحاضرة، خاصة الشباب منهم. حيث تبين أن المعرفة تتحدد من خلال أربعة محاور على شكل تساؤلات لخصها كما يلي:

1. معرفة ماذا؟

2. معرفة لماذا؟

3. معرفة كيف؟

4. معرفة من؟

ثم انتقل المحاضر إلى التعريف بدوران نمو المعرفة، التي تتلخص فيما يلي:

- توليد المعرفة ويتم بالبحث والابتكار

- نشر المعرفة ويتم بالتعليم والتدريب
- توظيف المعرفة ويكمن في تقديم منتجات وخدمات جديدة أو مولدة تعمل على توليد الثروة وإيجاد الوظائف وتطوير حياة الإنسان.

مع الإشارة إلى أنه في كل هذه الدورات لا تغيب الحاجة إلى توفير البنية التحتية الملائمة لممارسة البحث المعرفي الجاد، الممثلة أساساً في مراكز البحوث العلمية في الجامعات التي تمثل البيئة الحاضنة لإنتاج المعرفة بكل مقوماتها العنادية والمعنوية، مما سيؤدي إلى زيادة في تسجيل براءات الاختراع العلمي الذي يعد مقوماً أساسياً في احتساب المعارف.

هذه هي لمقومات الأساسية لولوج مجتمع المعرفة، المؤدي إلى اقتصاد المعرفة، وهو يمثل أقصى ما وصلت إليه البشرية بعد مرورها بالمجتمع الزراعي والصناعي ومجتمع المعلومات، هذا الأخير الذي ما تزال العديد من دول العالم، ومنها الدول العربية تترنح تحت وطأته، وإن بأشكال متفاوتة، حيث يخيم سوء الفهم على مفهوم مجتمع المعرفة لديها، علماً أن مجتمع المعلومات يعتمد المعلومة كما هي، بينما يعتمد مجتمع المعرفة توظيف المعلومة في الابتكار وإنتاج الثروة المعرفية أي المادة الرمادية، هذه الثروة التي أصبحت تمثل رأس المال في المجتمعات الجديدة، التي أصبحت تعتمد على اللامادة، ممثلة في الألياف البصرية وتقانة النانو والهندسة الوراثية، كلها يجمعها تدفق المعلومات المشفرة من خلال تبني تقانة البرمجة السحابية التي تعمل في العالم الافتراضي. هذا العالم الذي أصبحت معظم المعاملات تتم فيه عبر حرف e- الذي يجسد البعد الإلكتروني لجميع المعاملات المالية والمعرفية في العالم الافتراضي، حيث أصبحت رؤوس الأموال (= المعرفة) في اقتصاد المعرفة تنتقل افتراضياً بين أركان المعمور بدون رقيب مالي أو جمركي يحد من تحركها، مما قلص رقعة الكون إلى شاشة حاسوب، بعد أن كنا نسمه إلى عهد قريب قرية صغيرة. فهذا المفهوم أصبح متجاوزاً اليوم مع مجتمع المعرفة الذي دخلت فيه المعرفة سوق الأسهم ابتداءً من سنة 2005 وستستمر في بناء مجتمع جديد مقومه الاقتصادي والاستثماري الأساس هو المعارف كما تم تحديدها سابقاً.

العربية ومجتمع المعرفة:

بدأ المحاضر هذا المحور بالسؤال: ما العربية من منظور معرفي ومجتمع المعرفة؟ وأين العربية من كل ما سبق عن مفهوم المعرفة المقوم الأساسي في مجتمع اقتصاد المعرفة؟

لنقل أولاً إن البحث اللساني في اللغة العربية وصل إلى جيله الرابع، فبعد أن تم التأسيس لفهم بنية اللغة العربية قبل قرون عدداً من اليوم، حيث أخصبت الدراسات النحوية والبلاغية وغيرها في القرون الأولى لمجيء الإسلام، وتم وضع القواعد الوصفية الأولى التي اعتمدنا عليها في استمرار العربية الفصحى، ممثلة في كتاب الله العزيز، انتهى هذا الجيل وانتقلت البحوث في العربية إلى جيل جديد استثمرت فيه معارف الفيلولوجيا المرتكزة على اللغويات المقارنة، التي تقارن بين مكونات اللغات، والبحث في أصل اللغات وغيرها من المفاهيم التي وضعت العربية في إطارها التاريخي الصحيح، مقارنة بغيرها من اللغات العالمية،

حيث صنفت لغات العالم إلى عائلات وسلالات، تبين علميا أن أهمها هو عائلة اللغات السامية، التي تجمع بين العربية والعبرية والحشية، في مقابل اللغات الهندو أوروبية واللغات الأنجلوساكسونية وغيرها من العائلات التي تنتشر في العالم. هذا النوع من البحوث بقدر ما كان مفيدا في بابه فقد شكل قطعة معرفية مع الجيل الأول، فنحن لا نلمس أي استمرارية في استخدام أدوات العمل التي وظفت في بناء لسانيات الجيل الأول، خاصة إدخال الجانب الجيني الذي ارتكز عليه التصنيف في الجيل الثاني، وهو مفهوم لم يوظف أبدا فيما سبق. ومع بداية القرن العشرين تطور البحث في اللغات البشرية من منظور وصفي تصنيفي، فاجتهد الباحثون في اللغات في فصل اللغة، بوصفها نظاما من الدوال، عن متكلمها الذين ينتجونها، هكذا أصبحت اللغة من منظور الجيل الثالث نظاما من الرموز الدالة، فقسم هذا النظام إلى مستويات متكاملة، بدءا بالأصوات فالصرف مروراً بالتركيب وانتهاء بالدلالة والمعجم، إلخ. وهو التصنيف الذي يُوَظِرُه النظر البنوي العام بكل تفرعاته التي اشتغلت بجذبة طيلة النصف الأول من القرن العشرين، إلى نهاية الستينات منه. بموازاة مع هذا النظر العلمي الذي أثمر أوصافا جديدة للغات، ظهر توجه آخر يعد امتدادا له يعرف بالنظر التوليدي، حيث انتقل بالبحث اللغوي من وصف الظواهر اللسانية إلى تفسيرها، مدخلا مفاهيم جديدة على الدرس اللغوي، من أهمها التأكيد على أن اللغة كفاية وإنجاز، الأصل في بناء اللغة الكفاية، أي دماغ الإنسان، الذي تتولد فيه اللغة قبل أن تصدر على الألسن، وما الفرق بين اللغات إلا في الإنجاز، أما من حيث الكفاية فاللغات تقوم على كليات يشترك فيه بنو البشر قاطبة. هذا التقسيم عمق البحث في اللغة ونظر إليها بوصفها مكونا طبيعيا، ومن هنا يأتي مفهوم اللغة الطبيعية مقابل اللغات غير الطبيعية. وعلى الرغم من النجاح النسبي الذي حققه هذا الجيل، فإنه بقي حبيس التنظير، إذ صعب على الباحثين المتخصصين فيه، قبل غيرهم، الدفع به نحو الأجرأة المتمثلة في التطبيق الميداني الذي يفتح الآفاق أمام لسانيات مجتمع المعرفة التي سنطلق عليها لسانيات الجيل الرابع.

انتقل المحاضر إلى الحديث عن لسانيات الجيل الرابع، وهي التي تركز على إعادة توصيف أنظمة اللغات الطبيعية وفق منظور هندسي يتماشى مع متطلبات تقانة المعلومات، بهدف تهئية اللغة لولوج مجتمع المعرفة الذي يقوم على التقانة في أدق مقوماتها النظرية والتطبيقية، تهئيةا للتعامل مع الآلة التي لا تتوقف عن التطور، حيث أصبحت ملايين المعارف تنساب في أزمنة قياسية، يستحيل أن تستوعبها الأدوات التقليدية التي تعتمد الورق وما يدخل في فلكه.

لاستيعاب هذا الفيض المنهمر من المعلومات الذي ينتجه مجتمع المعرفة، حيث أصبحت المعرفة سلعة تتداول في الأسواق، تماما كما الأوراق المالية وما يدخل في فلكها، أصبح لزاما على الباحثين تغيير طريقة البحث في اللغات الطبيعية، ومن ضمنها العربية، لتمكين الآلة من استيعاب الكم الهائل من المعلومات، ليس فقط على مستوى التخزين، بل من حيث الاسترجاع أيضا، فإذا كانت الطرق العتيقة تركز على تصنيف المعلومات وفق نمط تقليدي باعتماد طرق بدائية تستهلك من الوقت أكثر مما تستحق، فإن المطلوب الآن اعتماد طرق حديثة محوسبة بالأساس لاستيعاب المعلومة واسترجاعها في زمن قياسي، يتناسب مع

متطلب السرعة في الإنجاز، وهذا بالضبط ما تهدف إليه هندسة اللغة العربية التي صممت منهاجا صارما في التعامل مع المعلومة تخزينا واسترجاعا، إذ ليس من المعقول أن تتبنى هندسة اللغة توصيف اللغة من المنظور التقليدي الذي قدمته الأجيال الثلاثة السابقة في التعامل مع جيل معرفي جديد قوامه الدقة والسرعة في معالجة المعلومات، وبذلك لم تعد هناك أي حاجة، إلا في ما قدمه الجيل الأول، إلى الأوصاف التقليدية في التعامل مع بنية معرفية جديدة، فالنحو والبلاغة والصرف وغيرها من مكونات النظام يجب أن تخضع لتشريح جديد تفتقر إليه الأجيال السابقة.

ثم انتقل المحاضر إلى عرض المجالات التي تطبق فيها هندسة اللغة آليات التوصيف اللساني الجديد، فذكر منها:

أولا: المحتوى الرقمي العربي على الشبكة

ثانيا: المحللات الصرفية والنحوية والدلالية والتشكيل الآلي

ثالثا: الترجمة الآلية من العربية وإليها

رابعا: التعرف البصري الآلي على المحارف العربية المطبوع منها والمخطوط

خامسا: الأنطولوجيا أو الحكومات الإلكترونية

سادسا: التعليم التفاعلي عن بعد

كل هذه المجالات معروضة بنوع من التفصيل في بحثنا المنشور في مقدمة المجلد الخامس عشر من مجلة التواصل اللساني، كما يمكن الرجوع إليه في هذا الموقع تحت باب لسانيات الجيل الرابع.